

أحوال اليمن وإصلاحه في ضوء تقرير الدولة العثمانية لعام ١٢٣٦هـ / ١٩٠٨م

وليد العريض

كلية الآداب/ قسم التاريخ/ جامعة اليرموك

تاريخ قبوله للنشر ١٩٩٥/٣/٢٥

تاريخ تلقيه للنشر ١٩٩٥/٨/٢٣

ABSTRACT

This study discusses the attitude of the Ottoman government towards the religious leaders (Imams and Sheikhs) in Yemen during the reign of Sultan Abd- al-Hamid (1876-1908).

The study also analyses the various factors that contributed to the struggle between the Ottoman authority and the religious leaders in Yemen during that period.

Finally, the study discussed the Ottoman government's policy of reforming the defects of its administration in Yemen on the one hand, and subduing the religious authority which was mobilizing holy war against the empire, on the other.

ملخص

هذا البحث هو: دراسة لفحص موقف الحكومة العثمانية تجاه صراعها المرير مع سلطة الأئمة والشيوخ في ولاية اليمن زمن السلطان عبد الحميد (١٨٧٦-١٩٠٨)، من خلال خطة الإصلاح التي وضعتها الحكومة عقب خلع السلطان المذكور.

بيئت الدراسة مجموعة العوامل التي شكلت أرضية مشتركة لهذا الصراع كسوء الإدارة العثمانية في جوانبها العسكرية، القضائية، ممارسات موظفي الدولة والضرائب، إضافة إلى سلطة الأئمة والشيوخ التعسفية واستغلالهم للشعور الديني في دعوة الناس للجهاد ضد الدولة العثمانية، لتحقيق غاياتهم السياسية والاقتصادية. كما أوضحت الدراسة سياسة الدولة الإصلاحية في محاولة للتخلص من السلبيات والممارسات المخاطئة وغير المشروعة التي مارسها الطرفان من خلال اتباع أساليب الترغيب تارة والترهيب أخرى، لتحقيق منافع أكبر للدولة العلية كما هو مشار إليه في تفاصيل الخطة الملحق بالبحث.

لم تواجه الإمبراطورية العثمانية عبر تاريخها الطويل مشكلة عظيمة كما واجهت في اليمن، ففي أحد التقارير الذي ورد من قيادة الجيش العثماني، طرح السؤال التالي: لماذا نحارب في اليمن؟ وما هي مشكلتنا مع العرب هناك؟^(١) وللإجابة عن هذا السؤال نقول: في مقدمة الأسباب التي أجبرت العثمانيين للاستيلاء على اليمن لأول مرة عام ١٥٤٧م، كان الوجود البرتغالي في جزر البحر الأحمر، وسواحل الجزيرة العربية، واتخاذها قواعد عسكرية في الهجوم على بلاد الهند. وقد أراد العثمانيون وقف هذا الخطر، الذي لم يكن يشكل تهديداً للتجارة مع الشرق فحسب، بل تهديداً أكبر للمراكز الروحية للمسلمين في بلاد الحجاز وفلسطين. والذي بدأ يواجهه طوقاً مسيحياً، أعاد إلى الأذهان الحروب الصليبية السابقة.

كذلك أراد العثمانيون تفويت الفرصة على البرتغال وإيران، لعقد معاهدات تحالف ضد الدولة العثمانية. أما السبب الأهم، فهو تنمية التجارة العثمانية في المحيط الهندي والخليج العربي، ولا يمكن أن تتم دون السيطرة على الطرق التجارية، التي كان يسيطر عليها البرتغاليون في البحر الأحمر، ليتمكن الاسطول العثماني من الاستيطان في موانئ جنوب الجزيرة العربية والخليج العربي^(٢). وهذا يفسر سبب الصراع البرتغالي العثماني في المنطقة بين ١٥٣٨-١٥٧٨م.

بقيت اليمن تحت الحكم العثماني الأول، بين عامي ٩٥٣-١٠٤٤/١٥٤٧-١٦٣٥^(٣). حيث خضعت بعد ذلك لحكم الأئمة الزيديين^(٤)، حتى استطاع والي مصر محمد علي باشا خلال حملاته على الحجاز (١٨١١-١٨١٨) الاستيلاء على موانئ اللحيان، والحديدة، وتهامه وجميع مناطق عسير^(٥) وإدخاله تحت التبعية العثمانية.

ونتيجة للمواجهة السيئة، بين محمد علي باشا والدولة العثمانية في بلاد الشام (١٨٣١-١٨٤١م)^(٦)، اضطر محمد علي إلى سحب قواته من اليمن، إضافة إلى أن الدولة العثمانية لم تستطع إرسال قوات بديلة إلى هناك، فاحتل الانجليز عدن عام ١٨٣٩، كما سيطر الشريف حسين بن علي^(٧) على المناطق المذكورة.

إن اختلال الأوضاع في اليمن نتيجة لعدم وجود قوة عثمانية قادرة على الحكم، كما ورد في تقارير والي جدة توفيق باشا (١٨٤٨-١٨٥٠)، إن احتلال عدن (١٨٣٩) هو مقدمة لاحتلال الانجليز للمنطقة، أو دعمهم لحكم الأئمة الزيديين الذين يدعون إمارة المؤمنين، وهذا يشكل بدوره خطراً أعظم على الدولة العثمانية، بسبب التعارض المذهبي. كما أوضح توفيق

باشا كذلك أن قوة لاتزيد على ثلاثة آلاف جندي كافية للسيطرة على المنطقة، مما شجع الحكومة العثمانية في جمادى الآخر ١٢٦٥/١٨٤٩، على إرسال تلك القوة والاستيلاء على المنطقة، بعد أن اضطر الشريف حسين إلى تسليم مدينة الحديدة، إلى كل من والي جدة توفيق باشا وشريف مكة محمد بن عون^(٨). أما صنعاء فقد تمت السيطرة عليها على يد احمد مختار باشا (١٨٧٢-١٨٧٣) في ١٧ صفر ١٢٨٩/٢٥ نيسان ١٨٧٢م^(٩). وبقيت كذلك حتى نهاية الحرب العالمية الاولى وهو ما اطلق عليه بالفتح العثماني الثاني لليمن.

لقد تميزت الفترة الثانية من حكم اليمن، بمجموعة من العلاقات المعقدة بين الدولة والسكان المحليين، وكانت سبباً في إشعال الكثير من الثورات الداخلية، ومحاولات مستميتة من جانب الدولة العثمانية للقضاء عليها. فذهب ضحيتها الآلاف من الجنود والسكان المحليين، وقد عبر الأتراك عن ذلك بقولهم: إن عدد الجنود الذين أرسلناهم إلى اليمن لا يمكن أن يقل عن تسعة أو عشرة جيوش^(١٠). إضافة إلى تدهور الأوضاع الداخلية التي بقيت سمة من سمات اليمن الحديث إلى وقت قريب. وتعود طبيعة هذه العلاقة إلى مجموعة من العوامل:

أولاً: الإدارة العثمانية وتمثيل في:

- سوء احوال المؤسسة العسكرية:

فالمؤسسة العسكرية العثمانية، لم تستطع توفير الأعداد المطلوبة من العساكر، حيث يصعب جمع قوة عسكرية عند الحاجة^(١١) إذ كان العساكر يرفضون الذهاب إلى اليمن عند الطلب، ويرفضون طاعة الأوامر، ويستمر هذا الرفض لعدة سنوات^(١٢). فالأوضاع الصحية للجيش في اليمن كانت سيئة للغاية، ولم يكن صغار الجند يلقون الرعاية الصحية، لعدم توفر المستشفيات الكافية أو العلاج لمواجهة أمراض الحمى، التي كانت منتشرة على الدوام^(١٣). كما إن الجيش في اليمن كان يعاني من قلة المواد الغذائية والملابس، التي تلائم جو اليمن الحار والرطب^(١٤). إضافة إلى ذلك ضخامة الجهد الذي كان يقوم به الجندي العثماني، نتيجة لقلة اعداد الجنود في الدوريات، وعدم معرفة هؤلاء بطبيعة الأرض اليمنية كما يجب، مما أوقع الكثير منهم في كمائن الثوار^(١٥).

لقد كان من الصعب تعويض ما فقد من الجنود، ومدّ الجبهة اليمنية بجنود إضافيين، لبعد المسافة وظروف الدولة السياسية والعسكرية والاقتصادية، إضافة إلى عدم تجنيد اليمنيين في

الجيش العثماني. وحينما اضطرت الدولة إلى اصدار قانون التجنيد الاجباري في اليمن عام ١٣٢٢/١٩٠٤، كان الوقت قد انقضى، لعدم تعود اليمنيين على الدخول في الجيوش النظامية، ورفضهم للوجود العثماني نفسه^(١٧).

لقد عبّر الفريق حسن اديب باشا قائد الجيش السابع، في تقرير قدمه إلى الحكومة العثمانية بتاريخ ١٧ محرم ١٣٠٧/ ١٢ ايلول ١٨٨٩، «أن الجبهة اليمنية تعاني من قلة السلاح الموجود لدى الجيش^(١٨)». إضافة إلى صعوبة نقل العساكر والارزاق، وأن الحكومة مضطرة إلى استئجار بواخر أجنبية لهذا الغرض. وفي حالة عدم وجود الشركة الناقلة، فإن الجيش سيحرم من المساعدات العسكرية والارزاق، وسيكون مصيره الهلاك. اذ كيف يستطيع الجيش التنقل في ظل فقدان وسائل المواصلات والسيطرة على الولاية؟^(١٩) لذا اضطرت الحكومة العثمانية فيما بعد، إلى دفع مبالغ عالية قدرت بحوالي ثلاثة ملايين قرش، لشركة لويد من اجل سفرة واحدة^(٢٠). إضافة إلى إبرام عقود أخرى مع نفس الشركة بين ١٨٨٥-١٨٨٧ كلفت الحكومة العثمانية ثلاثة آلاف قرش لكل نقلة من الارزاق^(٢١).

كانت اتصالات الحكومة العثمانية مع الجيش في اليمن، تشكل مشكلة كبيرة للدولة، فقد كلفت الحكومة شركة برق الشرق بمد شبكة الخطوط، مما وضع الاتصالات العثمانية تحت الرقابة الانجليزية، إضافة إلى تأخر البرقيات العسكرية بين صنعاء واستانبول وبالعكس لاضطرارها المرور على عدن^(٢٢). ولم تستطع الدولة حل هذه المشكلة لانها كانت بحاجة إلى ميزانية تقدر بخمسة عشر ألف كيس لعمل خط مستقل عن خط عدن، في ظل الظروف المالية الصعبة التي كانت تواجهها^(٢٣).

إن الظروف المالية، التي كان يعيشها أفراد الجيش السابع في اليمن، جعلت بعضهم مجبراً على الانضمام إلى السكان المحليين؛ للحصول على الأموال لسد حاجاتهم الضرورية من مأكّل وملبس، خاصة وأنّ الدولة لم تقم بتوفير البدائل الكافية بعد الإفلاس العام، الذي أصاب خزينتها بعد عام ١٨٧٥م. وهذا بالتالي أثر على كفاءة أفراد الجيش ومهاراته القتالية وظروفه النفسية الصعبة في مواجهة ثورات السكان المحليين، وقد ورد هذا الأمر بوضوح في البرقية التي أرسلها حسن اديب باشا إلى الباب العالي في ٢٦ تموز ١٨٨٩م^(٢٤).

-الأحوال القضائية والعائلية:-

تمثلت هذه المشكلة في تعيين قضاة من غير أهل البلاد، وممن لا يتقنون اللغة العربية، في وقت يصعب فيه الحصول على مترجمين؛ مما جعل السكان المحليين يتجهون إلى رجال الدين والفقهاء لحل مشاكلهم. علماً بأن رجال الدين أنفسهم، وخاصة أصحاب المذهب الزيدي كانوا خارجين على الدولة، فكانت فتاواهم دائماً تحرض السكان ضد الحكومة وموظفيها. كذلك إن عدم وجود المحاكم النظامية إلا في مراكز الأقضية البعيدة عن القرى جعلت السكان يفضلون عدم رفع الدعاوى فيها، نتيجة لبعد المسافة وكثرة المصاريف، فأوجدت شعوراً بالاستياء العام لدى السكان، وعدم الرضى عن تصرفات الحكومة وموظفيها^(٢٤). ولهذا الأسباب فقد التف السكان حول المحاكم الشرعية، وقاطعوا المحاكم النظامية الست^(٢٥) التي أنشئت في البلاد بعد عام ١٨٨٣ / ١٣٠٢ وأهمها في صنعاء وقضاء حراز^(٢٦). مما جعل الدولة تدرس إلغائها^(٢٧).

ويرجع السبب الرئيس في تهرب السكان من اللجوء إلى المحاكم، هو: المواقف الشخصية والتصرفات المزاجية التي كان يتصرف بها موظفو المحاكم، كالاقتالات العشوائية، فرض الرسوم العالية، طلب الرشاوى، فرض ضرائب تحت باب رسوم إضافية، وعبرت العرائض التي أرسلها الزعماء من الشيوخ والأئمة والسادة إلى الباب العالي، عن مدى استيائهم من الاعتقالات المزاجية التي لم تتضح أسبابها أو ماهية الجرائم التي قاموا بها، وزاد من نفرة السكان أيضاً اعتقال ثلاثة من السادة والشيوخ^(٢٨). كل هذه السلوكيات جعلت السكان يشعرون على رجال القضاء ويلجأون إلى أصحاب النفوذ من الشيوخ للاحتماء بهم لاعتقادهم بالظلم الواقع عليهم. وقد شكل هؤلاء المظلومون نواة للثورات اليمنية المتكررة^(٢٩). إذ لم يجد السكان فروقاً كبيرة بين رجال العدل والولاية. وتدل الوثائق أن بعض الأهالي قدموا اعتراضات مباشرة إلى الحكومة في استانبول^(٣٠)؛ لعدم وصول شكاواهم التي كانوا يقدمونها إلى رجال القضاء. كذلك طبيعة العلاقة المتوترة بين موظفي الدولة من إداريين، وعسكريين، وعدليين، قد قوى موقف السكان ضد موظفي الحكومة من الطرفين.

-موظفو الدولة:-

لعبت طبقة الموظفين دوراً أساسياً، في إحداث فجوة كبيرة بين الحكومة والأهالي، والتي كان لها انعكاس كبير على تردي الأحوال العامة في اليمن من جميع جوانبها: السياسية،

الاقتصادية، الاجتماعية، الدينية والادارية. فقد تميّز رجال هذه الطبقة بعدم الكفاءة، وحرصهم الكبير على تنمية مصالحهم الخاصة أولاً^(٣١). فمن صفات هؤلاء الموظفين الذين تقلدوا المناصب، الجهل بأوضاع اليمن الطبيعية والاجتماعية، فلم يكن هؤلاء الموظفون يتلقون أية معلومات عن أوضاع اليمن قبل ذهابهم. إضافة إلى ذلك، لم تكن الحكومة تمنحهم الفرصة الكافية للاستقرار في وظائفهم، فكثرة التنقلات الادارية انعكست على استمرارية جهل الموظفين الجدد بهذه الأوضاع، وكانوا سبباً في مشاكل كثيرة عوضاً عن إيجاد الحلول لها^(٣٢).

تحدثت الوثائق الواردة من اليمن، عن كثير من التصرفات غير القانونية لبعض هؤلاء الموظفين، وعلى رأسها اختمار الفكرة بأن هذه الوظيفة هي فرصة للماء الجيوب، بأساليب متنوعة سواء كانت مشروعة او غير مشروعة، لذا فقد أخذ الكثير منهم الرشاوى^(٣٣)، عن طريق تحالفات مشبوهة مع رجال الدرك وبعض شيوخ العشائر، في ظل غياب الرادع من قبل الولاة او القضاة، حالة كونهم شركاء مع الموظفين في هذه التصرفات، او لان محاسبة الدولة للولاة والقضاة، لم تتعد الاسئلة عن الأوضاع العامة بأشكال روتينية. وبطبيعة الحال فهذا لايعني أن بعض الموظفين كانوا غير مخلصين في اعمالهم، ومستقيمين في تصرفاتهم مثل الفقيه عثمان باشا (١٨٨٨-١٨٨٩).

لهذا نرى أن الحكومة العثمانية نفسها، قد لعبت دوراً كبيراً في تشجيع هؤلاء الموظفين، على القيام بمثل هذه التصرفات، نتيجة لتركهم في أوضاع صعبة للغاية، سواء من الناحية المادية او من الناحية المعنوية. فمثلاً رغم رفض والي اليمن عزيز باشا اعطاء الاذن للرحالة الفرنسي دفلرز Deflers؛ للقيام بجولة مشبوهة داخل اليمن، منحتة الحكومة هذا الإذن بين ١٨٨٥-١٨٨٦. ولهذا فقد أصبح الكثير من موظفي اليمن خدماً للرحالة الأجانب مقابل مبلغ بسيط من المال، او هدية صغيرة لا تتعدى زجاجة من الخمر^(٣٤).

كذلك فان ولاية اليمن، لم يكونوا على وتيرة واحدة من الحزم والتدبير، وقد تعود شيوخ البلاد وسكانها على مثل هذه التقاليد، فكانوا يعملون على مهادنة الولاة الحازمين، والثورة ضد الولاة الأقل حزمًا، فقد كان حسين حلمي باشا (١٨٨٨-١٩٠٣) أحد الولاة الذين يمثلون النوع الاول. وتوفيق بك (١٩٠٦-١٩٠٨) يمثل النوع الثاني^(٣٥).

إن ضغط الحكومة المتواصل على الولاة لتحصيل الضرائب، جعلت هؤلاء الولاة يخلقون

اعذاراً مبالغاً فيها في تقاريرهم، كقلة الأموال، والمحاصيل، وانتشار الامراض^(٣٦). وإلرضاء الحكومة من جانب آخر؛ كانوا يقدمون فواتير مزيفة عن ضرائب القهوة، وفي الوقت نفسه كانت هذه الفواتير، لا تعطى إلى الناس، بحجة أنها ليست حقاً لهم. ولذا وقع الأهالي تحت المطالبات المستمرة من قبل الحكومة والموظفين الجدد، وتحت خداع الأوروبيين المستمر في التلاعب بأسعار القهوة؛ للحصول عليها بأرخص الأثمان^(٣٧).

إن التقارير غير الرسمية تحدثت عن أشكال كثيرة من ظلم الموظفين للأهالي، من فترة الحكم العثماني الاول وحتى نهاية الدولة العثمانية، أمثال محمود باشا الذي تولى حكم اليمن سنة ١٥٦٠، والذي ضرب أمين الضربخانة الفقيه عبدالله اليمني وصلبه^(٣٨). وقد أصاب الأهالي فرح كبير عند نهاية ولاية حسين حلمي باشا وكذلك ابو مسمار^(٣٩)، الذي كان يربط الأهالي مقلوبين^(٤٠) والهجوم على بيوت المشايخ والاغنياء، مما اضطرهم إلى الهروب وتشكيل ثورات متكررة، وقد شكل ابو مسمار لنفسه لجنة من مشايخ العربان مهمتها: اعتقال الهاربين والتشهير بهم وضربهم بالسياط^(٤١).

كذلك إن قوائم الضرائب المفروضة على الأهالي، كانت تقرر حسب رغبات الولاة، وليس كما يشترعه القانون، مما تسبب في مصادرة الكثير من إنتاج الأهالي وعصيانهم للولاة، وكانت فترة حسين حلمي باشا إحدى الدلائل القوية على ذلك، إضافة إلى أن طبيعة الاشخاص الذين تشكلت منهم قوات الدرك، كانوا في كثير من الأحيان من الناس العاديين جداً، ثم أصبحوا أصحاب نفوذ كبير؛ نتيجة لطول المدة التي كان يقضيها بعضهم هناك، فأصبحوا الأمرين الناهين، إضافة إلى تحالفاتهم غير المشروعة مع بعض الموظفين المدنيين، في إيقاع الأذى على الناس وظلمهم، واتصاف الكثير من رؤسائهم بعدم الحكمة والدراية في تسيير الأمور^(٤٢)؛ مما فتح باب العصيان والثورة عليهم^(٤٣). إلى جانب هؤلاء إن المخاتير المحليين، لعبوا دوراً في استغلال مناصبهم في جمع الأموال والضرائب لجيوبهم، وعدم قدرة قائمي المقام هناك على اتخاذ أية اجراءات ضدهم، بل اتفاقهم معهم في كثير من الحالات.

ومما أثار سخط الأهالي حفظ شكواهم ومراجعاتهم، دون الرد عليها او تنفيذها من قبل الولاة والموظفين^(٤٤) ومما شجع الموظفين على استغلال نفوذهم؛ ضعف الاتصال المباشر بين الحكومة المركزية واليمن. وكذلك اعتماد الحكومة في استقاء معلوماتها فقط، على تقارير قيادة القوات العسكرية والولاة أنفسهم^(٤٥) إضافة إلى تنقلات الموظفين بشكل عشوائي، بناءً على تلك التقارير، فقد بدّل دفتردار اليمن عام ١٢٨٩ / ١٨٧٢ ثلاث مرات^(٤٦).

-الضرائب:-

شكلت الضرائب عبئاً كبيراً على مواطني اليمن، بسبب الأساليب الخاطئة في تحصيلها كما رأينا. فمِنذ الفتح الأول احتج الزيود على كثرة الضرائب التي كان يحصلها مراد باشا الذي تولى ولاية اليمن بين الأعوام (١٥٦٥-١٥٦٦) و (١٥٧٥-١٥٨٠)، وقاموا بثورة بقيادة الامامين المطهرين شرف الدين (١٥٥٨-١٥٧٣) والحسن بن علي داوود (١٥٧٩-١٥٨٥)^(٤٧). وقد جاءت هذه الاحتجاجات كون ضريبة العشر وباقي الرسوم أعلى مما هو مقرر في القوانين، مما أوقع الناس في ضائقة اقتصادية كبيرة. إضافة إلى أن أهم المشاكل التي عاناها المواطن اليمني، هي ازدواجية الضرائب، فهم من جانب كانوا يدفعون إلى خزينة الدولة وجيوب الموظفين، ومن جانب آخر إلى المشايخ المحليين المتمردين على الحكومة. وكان الرافضون لدفع مثل هذه الضرائب -لكلا الطرفين- يتعرضون إلى عقوبات شديدة ومنها الموت.

كان محصلو الضرائب المعيّنون من طرف المشايخ والأئمة يدعون بالعقلاء، وكان بعض المشايخ يحصلون الضرائب للدولة ولأنفسهم في الوقت نفسه، وقد استغل المشايخ أيضاً الفقه الزيدي، والأيام المقدسة والمناسبات الدينية، كالصدقات، والفطرة، والزكاة والأضحيان في تحصيل الضرائب وأهمها: زكاة المواشي، والدواجن، والدواب، والمخازن، وزكاة الفطر، التي كانت تعرف بزكاة البدن، وحلي النساء، وكذلك الجزية على أهل الزمة وكانت ثلاثة رiales على الغني، وريالين على الفقير وكذلك ضرائب الجمارك والقوافل^(٤٨). بل لقد عدّها الكثير منهم فرضاً إلهياً يجب الالتزام به. وكانت ضرائب الشيوخ تقدر في كثير من الأحيان باضعاف مما تجمعه الحكومة.

ومن أساليب تحصيل الضرائب الخادعة، التي كان يقوم بها الطرفان: الضريبة المقررة على الأغنام حسب القانون ٤٠/١، لكن محصلي الضرائب كانوا يأخذون خفية أكثر من واحدة، أو يحصلون على عدد أكبر من الأغنام^(٤٩)، بوساطة التهديد المبطن أو خوف السكان من اتخاذ إجراءات ضدهم.

أما ضرائب المحاصيل، فكان الأسلوب السائد في تحصيلها يعتمد على التخمين الذي يقوم به رجال ليست لهم دراية بذلك. فكان التخمين عشوائياً^(٥٠) لأن كثيراً من المخبّنين كانوا يقعون تحت تهديد الولاة والدرك والجيش، أو لأن هؤلاء المخبّنين وبعض أفراد الدرك كانوا يتفقون مع

الشيوخ الذين في منطقتهم.

ثانياً: سلطة الائتمة والشيوخ التعسفية:

إن الوضع القبلي والمذهبي الذين تميزت بهما اليمن، فرضا عليها نظام الائتمة والشيوخ، ومفهوم الشيخ عند الزيدية - بشكل خاص - يجمع بين العلم والرئاسة للقبيلة^(٥١). هذا الوضع جعل بعض أئمة اليمن يدعون خلافة المسلمين، كما فعل الإمام يحيى حينما دعا القبائل للاعتراف بامامته، ونقل الخلافة من استانبول إلى صنعاء^(٥٢) بل لقد تلقب بعضهم بأمر المؤمنين - كما ورد في مراسلاتهم - كالإمام المنصور بالله بن محمد بن يحيى حميد الدين (١٨٩٠-١٩٠٤)، الذي حصل على هذا اللقب باتفاق العلماء، بإثقال كاهله بالإمامة والخلافة^(٥٣). إن هذه الادعاءات اشعلت الخلاف بين الأئمة حول الأحقية بحمل اللقب، كما حصل بين الإمام يحيى^(٥٤) والشيخ سعيد الدهياني عام ١٩١١. كما كان ذلك وراء خلاف طويل بين السنة والزيدية، فالسنة مؤيدة للخلافة العثمانية والزيدية رافضة لها^(٥٥).

في ظل هذه المفاهيم، مارس الشيوخ - وعلى رأسهم شيخ المشايخ - نفوذاً شعبياً على الناس، فكانوا بمثابة دولة داخل دولة، وكان بمقدورهم بكل سهولة تسخير الناس لمصالحهم دون مقابل^(٥٦). فبينما كان الشيوخ يتمتعون ببراء فاحش، كان الشعب في فقر شديد، وكان هؤلاء الفقراء يستخدمون كثواراً ضد الدولة^(٥٧).

لقد عدّ شيوخ اليمن نفوذهم السياسي على الناس، جزءاً من ميراثهم الذي ورثوه عن آبائهم وأجدادهم، في انتخابهم خلفاء للمسلمين ودفع الضرائب لهم^(٥٨).

ولتحقيق مطالبهم هذه، لم يكن لديهم مانع من اتباع وسائل غير مشروعة، في عقد اتفاقيات مع الأجانب للحصول على أموال، وأرزاق، وأسلحة، وإكراميات مختلفة. وهذا بطبيعة الحال كان له تأثير قاس على الحكومة العثمانية؛ لأنه يشكل تحقيق فكرة الاستقلال عن الدولة، وكان له تأثير صعب على الناس من خلال استغلالهم عسكرياً ومالياً^(٥٩).

لقد قام الشيوخ باستغلال العامل الديني، فعمدوا إلى إرسال مدرّسين خصوصيين إلى القرى والجبال والأماكن البعيدة عن المراكز، من أجل دعوة الناس إلى العصيان ضد الدولة، وبطبيعة الحال كانت دعواتهم تلقى آذاناً صاغية، لما لطائفة الفقهاء من احترام شديد لدى الناس، وقدرتهم الكبيرة في تعبئة الناس للثورة^(٦٠). من خلال وصفهم الحكومة ورجالها بالجهل، كما تضمنت دعواتهم، الطاعة العمياء للسادة والأئمة وعدم طاعة الدولة^(٦١). لذا كان

هذا الارتباط بين الدعوتين، يشكل نوعاً من النفوذ المعنوي، في قلب مفهوم طاعة الإمام إلى مفهوم الاعتراف به كخليفة للمسلمين. وقد استطاع الأئمة تشكيل طبقة خاصة لهم من الموظفين حظيت بالعناية والتكريم من العقّال، الوعاظ، المفتين والنقباء، وكانت مهمتهم هي: التحريض ضد الدولة، الدعوة إلى الجهاد، دعم الثوار وجمع الضرائب من الناس^(٦٢).

إن استثمار الأئمة والسادة والشيوخ للشعور الديني في دعوة الناس للجهاد، من أجل تحقيق غاياتهم السياسية والاقتصادية، كان واضحاً في دعوات الإمام يحيى ووالده حميد الدين، الذي أعلن أن الجهاد فرض حسب مذهبهم^(٦٣). وكان للإمام حميد الدين اتباع كثيرون، يقومون بنشر رسائله في أنحاء اليمن^(٦٤).

كان مفهوم الجهاد هو الحرب ضد أهل الكفر، ويعني بها الدولة العثمانية، فمحسن الشهابي^(٦٥) يصف الأتراك بأنهم شرذمة قليلة وطعمة للمجاهدين المسلمين. وخاطب الناس في إحدى رسائله بقوله: «ادعوكم إلى منهج السداد وطريق الرشاد وإلى اتباع كتاب الله وسنة رسوله وسيرة الأئمة السلفية، والأمر بالمعروف ومجانبة المنكر وإعزاز الدين، وأمركم بالجهاد في سبيل الله»^(٦٦). كما درج الأئمة والشيوخ على مخاطبة الناس بعبارة «أحييكم من أجل الحركة (الثورة) المُعدّة لها، وحماية وإنقاذ خالصين للدين»^(٦٧). وكان يعني الجهاد ضد الدولة.

إن عبارات الإظهار الإلهي (إحياء الدين والشرعية)، نيل المكافئات المعنوية، ترك الدولة لأحكام الشريعة، التضحية بالمال والروح ضد الفساد العثماني، لامانع من السير على صنعاء للقاء عدو الله، الشعب هو دليل الأئمة، على الجميع الطاعة للشيخ والطاعة واجبة، الشيخ من سلالة الرسول وهو الذي يستطيع فقط معرفة الحلال من الحرام، تخلي الدولة عن الشريعة، اعينوني لإخراج أهل الفجور^(٦٨). لدلالة واضحة على عمق الصراع بين الأئمة والشيوخ من جهة، والدولة العثمانية مذهباً وسياسةً من جهة أخرى. وهي إحدى الوسائل لتنفير الناس من الحكم العثماني، وتشجيعهم على الثورة وتأكيد أن الزعامة في اليمن هي للأئمة وحدهم. كما ادّعى بعضهم أن المهديّة هي السبيل الوحيد لإنقاذ خلق الله، كما فعل الشيخ سيد قاسم المحظي في قرية بيت مونيت، وكما ادّعى سودوي سيد يحيى بن عبدالرحمن بانه وزير المهدي^(٦٩). كذلك لُقّب المدعو الزنجي عبدالله نفسه «بحامل بيرق المهديّة» وآخر لُقّب نفسه بالمهدي إدريس. وكان هؤلاء يقومون ببعض الأعمال البهلوانية كأكل النار، اشارة إلى أنها معجزات المهدي^(٧٠).

- شعار إنقاذ الشعب -

رفع الأئمة والشيوخ في اليمن شعار إنقاذ الشعب، فنهجوا أسلوب النقد اللاذع للدولة، فوصفوها بعدم التدين ودولة لادين لها، وكانت هذه الدعوات مقرونة بوجوب قتال رجال الدولة حتى خروج آخر جندي من اليمن^(٧١). معلين ذلك، بأن الجيش العثماني فقد أهميته وأهدافه التي جاء من أجلها. فهو ضعيف مهزوم لم يعد قادراً على الوقوف في وجه غير المسلمين، وأن الدولة لن تساعد اليمن^(٧٢). ولم يعد للجنود العثمانيين من وظائف، غير تبديل الأحكام الإلهية، شرب الخمر، ترك الصلاة، الإفطار في رمضان والقيام بأفعال شنيعة كظلم الضعفاء وتحقير الشرفاء وهذا يجعلهم سواسية في الصفات مع غير المسلمين، بل هم صورة طبق الاصل عنهم^(٧٣).

كذلك ركز الأئمة والشيوخ في نقدهم للدولة، على إهمال الإدارة لرعاية مصالح الناس، فقد فقد الجهاز الإداري مصداقيته، ولم يعد له من وظيفة سوى خديعة أصحاب الشأن ورؤساء الأعراب والمشايخ، في دعوتهم للطاعة، بهدف اعتقالهم وتجميعهم وإرسالهم إلى استانبول تمهيدا لتقديمهم إلى المحاكمات^(٧٤).

وورد في مخاطبات الشيوخ ما يؤكد هذا الشعار بقولهم: «كل من يكرس نفسه للفوز بالفلاح ويقوم بفعل ذلك، فإنه سيكون قرين النجاة وسأعمل أنا على ذلك» و«إن هذه مهية عظيمة، وإنها عهدة في رقبتي أودعني الله إياها، فيجب إطاعة دعوتي وأوامري ويجب الإسراع في تنفيذ هذه العهدة بمحاربة العجم وقطع رؤوسهم والطاعة لي». و«عباد الله أجيئوا دعوتي وعاونوني، صحت الدين وفتحت أبواب الشريعة وحرقت ثكنات أهل الفجور فلتستمر الثورة». و«هؤلاء لا صغيرهم ولا كبيرهم يعرف قدره، فيجب عليكم أن تسيروا في الطريق نفسه، فإذا اختفينا شهراً فإن ذلك يحقق لهم الأمان فهم لا يعرفون أحداً بعد اليوم ولا قيمة لكم عندهم»^(٧٥).

ومن أجل إقناع الناس بوحدة المسلمين وتجمعهم ورد مايلي: «لقد وفقني الله حضرة ميسر الأمور بوحدة مركز أهل الإيمان وأهل البيت»^(٧٦). و«لإحياء الدين وتخليص الضعفاء والمساكين من الظلم، جئت إلى هنا بقصد الحوز على المكافأة المعنوية وأن أنال رضى الله فأدعوكم إلى طريق السداد ومنهج الرشاد»^(٧٧).

لم يقتصر الشيوخ على المنهج النظري في تحقيق هذا الشعار، بل ترجموه على أرض

الواقع، فكانوا يستأجرون الناس مقابل بضعة ريات لقتال العثمانيين^(٧٨). وتعاون بعضهم مع الإنجليز لتأمين السلاح، فقد كان حميد الدين يمتلك بنادق انجليزية من نوع مارتيني وهنري^(٧٩). إضافة إلى تهديد وقتل المطيعين للدولة العثمانية، وتنظيم علاقات خاصة مع قناصل الدول الأجنبية لتأمين السلاح والمال اللازمين^(٨٠). لكن بطبيعة الحال فإن هذه الخطوات كانت تحتاج إلى ميزانية كبيرة، ولذا عمد الشيوخ إلى فرض ضرائب على الناس^(٨١). وإلى غزو القبائل البدوية المجاورة وسلب مساكنهم وقراهم وأموالهم^(٨٢). وجمع أكبر عدد ممكن من الأسرى ثم بعد ذلك يسوقونهم إلى مراكز حجة وحجورة^(٨٣) في أطراف الولاية الشمالية، ثم تنظم عمليات فدية كبيرة مقابل إطلاق سراحهم^(٨٤). وهكذا نرى مدى اتساع سلطة الشيوخ على الناس وتنوع أساليبهم في تسخيرهم كما يريدون، وإنزال عقوبات متنوعة على المعارضين منهم تشمل الحبس والضرب والقتل والنفي^(٨٥).

ثالثاً: سياسة الدولة العثمانية الإصلاحية:

في محاولة للتخلص من السلبيات والممارسات الخاطئة وغير المشروعة التي مارسها الطرفان، اتبعت الدولة سياسة اتسمت بالليونة والترغيب أحياناً، والشدة والتهديد أحياناً أخرى. وتركز فكرها في بث شعار «غاية الخلاصة توحيد الناس ومحو الافكار السيئة عن الأتراك لدى الناس»^(٨٦). وحتى تستطيع ترجمة هذا الشعار إلى واقع عملي، قامت بإرسال هيئات متتابعة إلى اليمن حاملة مجموعة من التعليمات باسم السلطان العثماني تنص على: إن هدف الدولة تحقيق الرفاه والعدالة للناس في محاولة لربط الأماكن الثائرة مرة أخرى بها^(٨٧). ودرج رجال هذه البعثات الإصلاحية على كثرة المديح للدولة، إضافة إلى مناقشة بعض التوصيات؛ لاصلاح اليمن بمعرفة أهل الخبرة كأمر مكة عون الرفيق باشا (١٨٨١-١٩٠٥)، وتحديد المشكلات التي تعاني منها البلاد، إلى جانب تقديم الوعظ والنصائح إلى القبائل للتراجع عن تأييدها للشيوخ العصاة، وتقديم الولاء والطاعة للدولة. ولتحقيق هذه الاهداف، فقد انتهجت الدولة نفس اسلوب الائمة في الدعاية المضادة. فقد ورد في إحدى الوثائق مانصه: «إن السلطان ابن السلطان ليس له غرض سوى اقامة القرآن والسنة، والوقوف ضد أعداء الدين وخدمة الحرمين الشريفين، وإن قتال الدولة لأهل الفساد وضربهم وقتلهم وأسره ما هو إلا حل للمشاكل التي يوقعها الشيوخ على الناس، وتحقيق راحة الأهالي»^(٨٨). كذلك وصفت الدولة الذين يقومون بالثورة بالأشقياء، لكنها لم تعمم هذا اللقب على الجميع، فقط كفرت كل من يقوم ضد الدولة، وأطلقت لقب شيطان على كل من يساعد الإمام العصي. وبثت دعاية

تشدد على أن أعمال الإمام ما هي إلا تفريق بدل الوحدة، وفساد بدل الإصلاح، وقطع الطرق وملؤها بالرعب، وهؤلاء الأئمة العصاة قد خرجوا بدورهم عن طريق الهداية ووقعوا تحت غضب الله^(٨٩).

وقد عملت الدولة على توسيع قاعدة المذهب السني، واتخاذ التدابير اللازمة ضد المذهب الزيدي والمذاهب الأخرى الرافضة للمذهب السني الحاكم. وإخراج الزيديين من صنعاء إذا وقعت تحت أيديهم. حيث وصفتهم الدولة بأنهم اناس في جلد أفاع، ثم عمدت على هدم استحكاماتهم وإفراغهم من الأماكن التي يثرون بها ولو كانت قرية صغيرة.

ثم منحت الدولة للدولة، والمتصرفين، وقائمي المقام الجدد من السنة، صلاحيات تخولهم باستعمال الشدة؛ لكسر شوكة الزيدية، وتوطين المخلصين من العرب، والأتراك، والاكرد، الذين يتسلحون بسلح العقيدة الإسلامية القوية في أماكنهم^(٩٠). إن هذه الإجراءات تعبر عن مدى قناعة الدولة أنه لا يمكن إعادة ربط الاماكن الثائرة بالدولة مرة أخرى، دون القضاء على الإمامة الزيدية وفكرها جذرياً.

كما قررت هيئة الاصلاح لسنة ١٢١٥/١٨٩٧ أن السبيل الأمثل للقضاء على الثورات، هو إرسال إداريين وموظفين متدينين، وإذا كانت هناك إمكانية لاختيارهم من قبل الناس فهذا أفضل^(٩١). وأوصت الهيئة بعزل الموظفين غير الأكفاء والعمل على تقوية الرابطة الدينية بين الناس، والحرص على أداء فرائض الطاعة والالتزام بالمواعظ وتبليغ ذلك إلى العلماء والشيوخ والسادات. وجاء في اللائحة أن من أهم شروط الموظف الصالح: «التدين، وإذا لم يكن كذلك يجب إرشاده إلى الطريق الصحيح، وأن يقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واجتناب كافة المنكرات». ثم أوصت اللجنة كذلك تزويد المساجد بالقرآن المطبوع الذي لم يكن موجوداً قبل عام ١٨٩٠م. ومن ثم الاعتناء بتطبيق الشريعة^(٩٢)، فقد ورد بتاريخ ٢٢ شوال ١٣٠٦/٢١ حزيران ١٨٨٩ إن الحكومة قررت استبدال المحاكم النظامية البدائية التي رفض الناس التعامل بها، بمحاكم شرعية وتعيين موظفيها من العلماء مع بيان كافة مستحققاتهم، وإصدار تعليمات مشددة بعدم إحداث أي ظلم على الناس، والتوفيق بين القانون والشرع الشريف^(٩٣).

وفي إطار هذا التوجه، عملت الدولة على استخدام رجال الدين ضد الثوار، فمنحت الكثير منهم المعاشات والإكراميات تراوحت بين ٢٠٠-١٥٠٠ قرش، ومنهم على سبيل المثال، السيد أحمد، السيد حسين الهادي، السيد محمد صالح أفندي، السيد جيلان والسيد حسن^(٩٤). كما

منحت بعضهم إكراميات عينية كالأقمشة والخلع، الساعات، الشالات والسيوف وقد بلغ مجموع هذه العطايا ٧٥٠٠ قرش. كما اشترت الحكومة بيوتاً لبعضهم، كالسيد عمر بومين افندي، الذي مُنح بيتاً في الحديدة عام ١٣١٨/١٩٠٠ بكلفة خمسة عشر ألف قرش^(٩٥). ولإرضاء رجال الدين وكسب ولائهم تبين أن الدولة بحاجة إلى توزيع عطايا لاتقل عن ١٥ ألف كيس^(٩٦).

وفي خطوة أخرى لإرضاء رجال الدين والشيوخ ومنهم الزيدية على سبيل الخصوص، منحت الدولة بعضهم رتباً معنوية، فمثلاً منحت مقبل بن يحيى بن فارغ الأنصاري نيشان مجيدي من الدرجة الخامسة، وللشيخ عبدالله الشعر نيشان مجيدي من الدرجة الرابعة عام (١٣٠٤/١٨٨٦)^(٩٧). لكن بعض الشيوخ رفض هذه المنح والعطايا، كالشيخ محسن الشهاري الذي عدّها رشوة محرمة، ولذا دعا الشيوخ إلى عدم قبولها^(٩٨).

إن محاولات الدولة للتقرب من الشيوخ والسادة من خلال اتباع سياسة اللين والترغيب، كان يعني لها إظهار قوة الخلافة، وتشكيل نفوذ معنوي وسياسي على الشيوخ وكسب الجزء الأكبر منهم؛ لنزع التحالفات بينهم وبين الأئمة العصاة^(٩٩). وهذا يعني أن قسماً كبيراً من الأمة التابعة لهؤلاء الشيوخ من عشائر وقبائل سيدخلون في طاعة الدولة بحكم الولاء لشييوخهم. وجاء في فرمان تعيين عون الرفيق باشا بهذا الخصوص: «من أجل تحسين صورة اليمن وإزالة العصيان روجع الوالي المشار إليه ليتحرك كما يقتضي الأمر، ليكون له تأثير ونفوذ على السادة والمشايخ، مع الحرص الكامل في الابتعاد عن إيقاعهم في التهلكة وعدم أخذ أولادهم كرهائن، بل مساعدتهم في إنقاذ أولادهم من الأسر». كما فعلت مع السيد حسن صلاح افندي في إنقاذ ولده الذي كان أسيراً في كوكبان^(١٠٠).

لكن هذه السياسة اللينة التي اتبعتها الدولة، لم تلق الأ نجاحاً جزئياً في بعض الأحيان، ورفضاً كبيراً في أغلب الأوقات^(١٠١). ولذا اتجهت قيادة اليمن إلى استعمال القوة، كما جاء في البرقيات المرسلة إلى الحكومة بين أيار- حزيران ١٢٩٢/١٨٧٥، تطلب فيها إرسال مزيد من الجيش السلطاني لتأديب قبائل حاشد وصعدة وإدخالهم تحت راية الدولة^(١٠٢). لكن الحكومة المركزية لم تقابل اقتراحات عاصم باشا بالرضى في الاستعجال بانتهاج أسلوب القوة. ورغم أن نتائج هذا الرفض ظهرت مبكراً وتمثلت في عصيان محسن الشهاري نتيجة لعدم وجود قوة عسكرية كافية لردعه^(١٠٣). أصر الباب العالي على التريث في هذا الأمر وكان رأيه «إنه إذا لم تأت النصائح والمواظب بنتائج مثمرة، ستضطّر الدولة فيما بعد إلى استخدام أساليب جزاء

أخرى، كالنفي، وقطع المعاشات، والمنح المقررة للشيوخ. إضافة إلى تعبئة الناس وتحريضهم ضد الشيوخ من جانب وبث الإشاعات التي تعبر عن رضى الدولة عن العصاة وإصدار العفو عنهم ومنحهم المساعدة ومنهم محسن الشحاري، وأن الدولة كذلك لن تقبل مذهباً آخر غير المذهب الزيدي من جانب آخر. وقد استثمرت الدولة الخلافات المذهبية بين الشيوخ التي وقعت بفعل هذه الإشاعات، واستطاعت أن تعتقل مايزيد عن عشرين شخصاً من الأئمة والسادة والشيوخ ونفتهم مع عائلاتهم إلى بلاد سوريا^(١٠٤). واعتقلت مجموعة أخرى من الشيوخ وأصحاب النفوذ الذين أظهروا العصيان كرد فعل على الشكاوى التي وردت بحقهم إلى استانبول، وحوكم هؤلاء بالاعدام بموجب مادة القانون التي تنص على: «يعدم أي شخص من أتباع الدولة العلوية قام فعلاً أو بالواسطة بالعصيان أو حرّض عليه»^(١٠٥). لكن هذه الأحكام خفضت إلى الاشغال الشاقة بين مدد تتراوح بين ١٠-٢٠ سنة على كل من المدعوين الفيل، عبدالله، مصلىح، احمد، ناصر، قائد، احمد، عبدالله وغيرهم.

واتماماً للفائدة نقدم تقرير الدولة الرسمي في أحوال اليمن وخطة إصلاحه كما ورد في الأصل كجزء مهم من هذه الدراسة وتمتم لها.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بنعمه تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ما دامت الأرض والسموات.

أما بعد فهذه لائحة^(١٠٦) مباركة تتعلق ببعض أحوال جزيرة العرب وما يجب المبادرة إليه لإصلاحاتها وتأمين العباد والبلاد، وانقيادهم لولاة الأمور وجلب قلوبهم إلى جانب الدولة العلوية، وفقها رب البرية المعروض إلى مسامح فخامة الصدر الاعظم والدستور الاكرم^(١٠٧). اني قد وصلت إلى هذا الطرف الأشرف في العام السالف، قاصداً من حضوري إلى هاهنا خدمة الملة والدين والنصح للإسلام والمسلمين، وتشبثت في ذلك كثيراً وقدمت لوائح عديدة تتعلق بإصلاح جزيرة العرب عموماً، وبالخطة المشرفة الحجازية خصوصاً، لأعتاب مولانا أمير المؤمنين ولدولة شيخ الإسلام^(١٠٨). وبذلت فيها جهدي بالنصح وقد حصل والله الحمد نتيجة

بعضها وهو ترتيب مديرية المعارف بالحرمين الشريفين واني ارجو من الله تعالى، ان يحصل نتيجة الجميع على يد فخامة دولتكم وننال بذلك ثواب الدنيا والدين «فان من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة»^(١٠٩) وأنه يجيب خدماتي للدولة العلية وسياحتي^(١١٠) في جزيرة العرب والعراق ونجد والحجاز وساحل بحر عمان وتوجهي مندوباً من طرف الدولة العلية إلى مدعي الإمامة باليمن^(١١١) اطلعت على امور لم يطلع عليها غيري من اقارني ووجب علي عرضها إلى مسامعكم راجيا من الله ان تحل محل القبول وان يحصل منها النفع للدولة والملة والمسلمين، فإنه هو المقصود والمأمول واني بحسب ما رأيت من كريم اخلاقكم وجميل شيمكم وحبكم الخير للدولة والملة بادرت لكتابة هذه اللائحة سائلاً من الله حسن التوفيق والهداية إلى اقوم طريق.

مقدمة

ليعلم أن جزيرة العرب وما قاربها من قطعة آسيا^(١١٢)، هي أشرف ما على وجه الكرة الارضية على الاطلاق عند جميع أهل الأديان السماوية بالاتفاق وفيها الحرمان الشريفان، والمسجد الاقصى ومعظم الأماكن المقدسة واليها يفد الناس من كل فج عميق، المسلمون إلى الحرمين الشريفين وبقية أهل الأديان السماوية مع المسلمين يشتركون في الوفود إلى المسجد الاقصى وقد من الله بهذه الأماكن الشريفة، وجعلها تحت يد الدولة العلية، وشرف سلطاننا المعظم بخدمتها على سائر الملوك، وشرف الله البقعة التي دفن فيها الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم على السموات العلى [العلأ] وعلى العرش والكرسي باتفاق علماء الإسلام^(١١٣) ومن الحرمين الشريفين نشأ الإسلام وفشى وانتشر حتى عم الاقطار وملأ الديار وان الحرمين الشريفين هي القاعدة والاساس لجميع الممالك الإسلامية. ومن المعلوم أن صلاح الاساس يبتغي عليه صلاح غيره وأيضاً هي كالقلب لجميع الممالك العثمانية، بل لجميع الكرة الارضية. وقد قال عليه الصلاة والسلام مامعناه: «ان القلب إذا صلح صلح الجسد كله وإنه إذا فسد القلب فسد الجسد كله»^(١١٤) وانه ينبغي إصلاحها وحفظها فأما صلاحها يكون بتبديل المأمورين الصغار، الذين فيها، المجبولين على الارتكاب وخيانة الدولة والملة. واما حفظهما فيكون بالتحفظ على ما حولهما من جزيرة العرب كاليمن، والعراق، ونجد، وعربان الحجاز، لأن

أهل تلك الجهات كالسور للحرمين الشريفين، وليعلم أن كثيراً من الدول الأجنبية يحسدون الدولة العلية على جزيرة العرب وما حولها من قطعة اسيا، وكل منهم يطمع في أن يتوصل بالدسائس إلى أن يكون شيء [شيئاً] منها. وأكثر الناس طمعاً في جزيرة العرب دولة انكلترا، وقد توصلت بالدسائس إلى أن صار أكثر أهل ساحل بحر عمان وخليج فارس، وما قارب ذلك من سواحل بلاد حضرموت تحت حمايتها كأهل الشحر، والمكلا، وضفار [ظفار]، ومسقط، والشارقة، ودبي، وجزيرة البحرين. ولحقهم صاحب الكويت مبارك الصباح [وصاحب] لحج بسبب قربه من بلدة عدن المهمة، التي استولت عليها الدولة المذكورة بالدسياسة، وصارت اعظم سواحل اليمن واردات [أعظم ميناء لاستيراد البضائع] لان دولة انكلترا اعلنت عند أهل اليمن أنها لا تأخذ كمركا، ولا عشراً، على جميع ما يجلب إلى عدن من حاصلات اليمن. ولهذا الداعي [السبب] صار أكثر أهل اليمن القرييين من عدن والبعيدين يجلبون القهوة اليمانية، والتنباك إلى عدن ولهذا قله [قلت] واردات اسكة^(١١٥) المخا التي هي أعظم اساكل، اليمن وهاجر بعض أهلها منها لذلك. ومن جملة دسائسه انه انشأ اسكة في ساحل بر السودان وسماها نبط السودان، بينها وبين جدة مائة واربعون ميلاً بحراً. ووصل الشمندوفر فيها إلى السودان وبحسب ما رأيت بعيني أنه بعد سنوات قليلة تكون تلك الاسكة اعظم الاساكل الموجودة بذلك الطرف وانه كان يرد لكمرك جدة من كمرك الصدف في كل سنة مبلغاً جسيماً. ولكون دولتا انكلترا وايتاليا اعلنتا انهما لا يأخذان كمركا من الصدف صار الصدافون يجلبون الصدف إلى سواكن ومصوع نبط السودان والآن ومنذ سنوات لم يرد لكمرك جدة ولا كمرك الحديدية شيء من كمرك الصدف اصلاً، وان مطمع انظار دولة انكلترا ان الذين تحت حمايتها، يتوصلون إلى تملك بعض اليمن وبعض نجد فمن ذلك ان صاحب المكلا الذي تولى حمايتها المسمى بالقصيطي^(١١٦) قبل سنتين، استولى على قطعة كبيرة من أرض حضرموت يقال لها دوغن، ومن ذلك ان مبارك الصباح تسول له نفسه الاستيلاء على أرض نجد، حتى انه خرج اليها قبل سنوات ليستولي عليها فكسر شوكتة المرحوم عبدالعزيز بن رشيد ورده خائباً. ثم انه الآن اتفق مع الوهابي عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن سعود وصار يمد بالاموال والسلاح حتى استولى على أكثر قطعة نجد، وصارت قبائل العربان التابعة له من عينية إلى قرب مكة المشرفة^(١١٧). فينبغي بل يجب التنبيه لهذه المواد المهمة وإمعان النظر فيها، واستعمال الوسائل اللازمة والأسباب الموجبة، لما تنتظم به أحوال جزيرة العرب من حاضرة وبادية، وما يكون سبباً في قطع اطماع الدول الأجنبية فيها، خصوصاً دولة انكلترا،

ومن هو تحت حمايتها من مشايخ البلاد والعربان^(١١٨). واني بحسب سياحتي في الجزيرة المشار إليها: عراق ونجد ويمن وحجاز واطلاعي على امور لم يطلع عليها احد غيري، وتيقني لما حررته في هذه المقدمة، تجاسرت بعرض هذا خدمة للدولة العلية والملة والدين، ولولانا امير المؤمنين والله الموفق للصواب واليه المرجع والمآب.

فيما يكون به اصلاح جزيرة العرب اليمن والحجاز ونجد

الوجه الاول

هو نشر العلوم والمعارف فيها، بانشاء مكاتب ابتدائية في امصارها وقراها، يُعلم فيها ما يجب لله ورسوله، ولأمر المؤمنين، وللملة، والدولة العلية عليهم، وارسال معلمين مقتدرين لاجراء ذلك. وارسال وعاظ ومسلمين مقتدرين عالين باللغة العربية الى عشائر العربان ايضاً يعلمونهم ذلك فان هذا الأمر يقودهم الى السمع والطاعة، اعظم مما تقودهم القوة الجبرية؛ لان انقياد الرغبة اعظم نفعاً، واجل فائدة من انقياد الرهبة. انظروا الى اول بدء الاسلام كيف كان وكيف الانقياد الديني اوجبهم لبذل اموالهم، وارواحهم، في طاعة الله ورسوله ولم تنزل العرب على هذه الجبلية والطبيعة حتى الآن.

الوجه الثاني

هو منع دخول السلاح الجديد وجبخانه^(١١٩) في جزيرة العرب، فان في هذا المنع مصلحة عظيمة لانقياد العموم، وعدم خروجهم عن طاعة ولاة الامر وان لم يكن منعه بالكلية فليكن تقليل دخوله.

ما يتعلق باحوال اليمن خصوصاً

ان اسباب الفتن الحاصلة في اليمن ثلاثة امور، **الأول**: هو استبدال المأمورين وارتكابهم لما لا يرضي الله ورسوله من المنكرات والمعاصي، وعدم اقامة الشريعة وتعدي المأمورين على

اعراضهم. **الثاني:** هو ظلم المأمورين لهم في تضعيف الحاصلات واخذها منهم، زيادة عما قدره الشرع والنظام عليهم، وتعدي المأمورين على من لم يوافقهم على ذلك.

الوجه الثالث

هو عدم سماع التشكي منهم في حق المأمورين المستبدين، الذين يظلمونهم فانهم كلما شكو الى المأين إليهما، لا يوصل اهل الاغراض شكواهم الى امير المؤمنين وان بلغوه الشكوى يبلغونه بعكس ما حرره اهل الشكوى وهذه الأمور الثلاثة هي الموجبة للفتن الحاصلة في اليمن. وزاد على تأكيدها وتأييدها ارسال حسن خالد^(١٢٠) بن الشيخ ابو الهدى^(١٢١) مندوباً لاصلاحات اليمن. فانه لما ذهب الى اليمن وراه [وشاهده] اهل اليمن وسمعوا ما ابداه وتكلم به في مسألة اصلاح اليمن ينسوا من انصافهم، وزادوا في امر الخروج عن الطاعة. وكان ابو الهدى يُكْتَبُ بعض الناس كتابات ويعرضها الى امير المؤمنين بان اليمن اصلحه ابنه حسن خالد، وان الاساس في غاية الكمال والحال. إن اهل اليمن في اعلا [أعلى] درجة الخروج عن الطاعة وفي اثناء تلك المدة، وجد رئيس الزيود فرصة صار يجلب قلوب اهل اليمن حتى أن اكثرهم خرج عن الطاعة، الزيود والشوافع كأهل عسير، وغامد، وزهران، وتبعه اكثر الزيود وحصل منهم ما حصل من الاستيلاء على صنعا وغيرها من القرى واوجب الامر الى صرف الدولة العلية المصارف الجسيمة، التي هي اكثر مما اختلسه المأمورون، وانتفع به ابو الهدى وابنه واعوانهم الذين كانوا يمنعون وصول الشكاية الى امير المؤمنين، لاغراضهم الفاسدة ومنافعهم الذاتية فانا لله وانا اليه راجعون.

بيان احوال اهل اليمن واختلاف مشاربهم لاختلاف مذاهبهم

إن اهل اليمن بالنسبة الى الديانة والمذاهب ينقسمون الى اربعة اقسام، شوافع، واسماعيلية، وقريب من الوهابية، وزيد، اعتقادهم في الاصول اعتقاد المعتزلة. واما الشوافع اهل السنة والجماعة فهم اهل تهامة وبعض اهل الجبال واهل سواحل اليمن عموماً والمذكورون اميل الناس قلوباً للدولة العلية واطوعهم لها، واسرعهم انقياداً واسلمهم عاقبةً ولكن معاملة المأمورين الظالمين نفرت قلوبهم، ولاكن [ولكن] تألفهم وجلب قلوبهم بسياسة حسنة ممكن في اقرب وقت.

واما الاسماعيلية الباطنية فهم يميلون الى الدولة العلية ويبغضون الزيود بغضاً شديداً؛ لكون الزيود يستحلون دماءهم واموالهم، ويحكمون بكفرهم وميلهم للدولة العلية بهذا الداعي ومساكنهم الجوف ونجران وبعضهم قرب صنعا [صنعاء]. واما الوهابية فهم بعض اهل عسير وغامد وفي اليمن شرذمة قليلة من اليهود اكثرهم في صنعا وفي صعده.

وأما الزيود فهم اصناف ثلاثة وقبائل متعددة، اما قبائلهم فهي: بكيل، وحاشد، وحجور، وافلح، وشحار الشام، وشحار اليمن، وخولان بني عامر. اما قبائل بكيل وحاشد وحجور وافلح وبعض شحار اليمن فهم اتباع يحي حميد الدين وهم اشد الناس عداوة للدولة العلية، وجميع الفتن الحاصلة منهم واما بعض قبيلة شمار اليمن وبعض قبيلة خولان بني عامر فهم اتباع المدعي الثاني احسن علي القاسمي. وبعض قبائل خولان وقبيلة شحار الشام ليست تابعة لاحد لا لأحسن علي^(١٢٢) ولا ليحي حميد الدين ثم ان وجود المدعي الثاني احسن علي حصل منه منفعة عظيمة وهي تفريق كلمة الزيود وعدم اجتماعهم على يحي حميد الدين فانه لولا وجود المدعي الثاني لا تصل [يتصل] حكم يحيى حميد الدين ببقية الزيود كخولان بني عامر وبقية شحار اليمن وقد وقع بين يحيى حميد الدين واحسن علي محاربات عديدة وان يحيى حميد الدين اكثر مالأ ورجالاً من احسن علي، ومع هذا لم يقدر على الاستيلاء على بلاده واحسن علي يميل الى الدولة العلية ظاهراً.

واسباب عداوة الزيود للدولة العلية والخروج عليها نشأت من ثلاثة امور:

الامر الاول: هو ارتكاب المأمورين لما لا يرضي الله ورسوله من الظلم والجور والفجور والفسق الذي لم تألفه طباع اهل اليمن.

الامر الثاني: هو ان يحيى حميد الدين سولت له نفسه ان يستولي على جميع الخطة اليمانية، ويكون اميراً مستقلاً فيها وعلم ان ذلك لا يتم له الا اذا جعل القيام لاجل الدين. فادخل الدسائس على اهل اليمن واعلن لديهم ان الدولة العلية قد ابطلت الشريعة الغراء المحمدية وابدلتها بالنظام. واستدل على ذلك بافعال المرتكبين من المأمورين وبين لهم ان قيامه انما هو لتأييد الشريعة وهذه الدسياسة ادخلها في قلوب بعض الشوافع فضلاً عن الزيود، وافعال المأمورين ايدت كلامه فينبغي التنبيه لهذه النقطة المهمة.

الامر الثالث: انه من مقتضى مذهبهم الجاري عليه عملهم من قديم، وتنطق به كتبهم، ان الأمام

الحاكم لا يكون إلا من اهل مذهبهم ومن اهل البيت، بشرط ان يكون مستجمعاً فيه جملة شروط: العلم والكرم والشجاعة والدراية، وغير ذلك من شروطهم. وأن هذا الامام لابد وأن يعهد اليه بالامامة الامام الذي قبله. وان لم يعهد اليه الامام الذي قبله تكون توليته باتفاق علماءهم [علمائهم] وانه لايجوز أن يكون منصوباً من جهة الدولة العلية ولا من جهة غيرها. ومن قواعد مذهبهم انه يجب على امامهم ازالة كل منكر يراه وان لم يمكن ازالته إلا بالحرب والقتال يجب عليه المحاربة اذا اجتمع عنده من الرجال المحاربة بقدر عدد اهل بدر. ومن قواعد مذهبهم ان زكاة اموالهم يجب دفعها لامامهم وانهم لو دفعوا زكاة اموالهم الى جهة اخرى لا تسقط عنهم الزكاة، بل يجب عليهم دفعها مرة ثانية لامامهم. وبهذه الاسباب انقاد له جميع من تحت حكمه من الزيود، حتى انهم اذا ذكروه يقولون: الامام عليه سلام الله عليه رضوان الله. اما يحي حميد الدين فعلى حسب ما ظهر من فحوى كلامه وحركاته وسكناته وقرائن احواله انه طالب لرياسة اليمن ولايرجع عما سولت له نفسه إلا للعجز عن ذلك. وانه يخادع الدولة العلية فمضى رى [رأى] منها قوة والتفاتاً سكت وسكن. واذا رى [رأى] منها غرة انتهاز الفرصة فيلزم التحذر منه وعدم الاغترار بسكوته. ومن جملة ما يدل على ذلك اني حضرت خطبة يوم الجمعة فوجدت جميع الوعظ الذي صدر من الخطيب فيها هو الحث على الجهاد ومرادهم من الجهاد محاربة الدولة العلية نصرها رب البرية.

ومن جملة الادلة على ذلك، انه يزعم انه امير المؤمنين وامام المسلمين. وقد كتب في مهره الذي يمهر به ويراسل به الناس ما نصه: "المتوكل على رب العالمين امير المؤمنين يحي حميد الدين" وهذا امر يستدل به على ما ابطنه هذا حقيقة امر يحي حميد الدين والزيود. اما حقيقة الشوافع فان كثيراً من العربان واهل القرى الذين كانوا مطيعين للدولة العلية ويؤيدون اليها الزكاة بواسطة ارتكاب بعض المأمورين وظلمهم لهم وما. ادخله المدعي في قلوبهم من ان الدولة العلية ابطلت الشرع الشريف، وجعلت بدله النظام، وقد خرجوا عن الطاعة، وامتنعوا عن اداء الزكاة مدة سنتين، فينبغي أولاً السعي في اخلاصهم وجلب قلوبهم وازالة الدسائس التي ادخلها عليهم، فان اصلاح القريب مقدم على اصلاح البعيد واصلاح الداخلية مقدم على اصلاح الخارجية لانه باصلاح القريب والداخلية يستعان على البعيد وعلى مقاومة الخارجية ومن لم يصلح داخلية لايقدر على مقاومة الخارجية ومن لم يصلح اهل بيته وعائلته لايقدر على اصلاح اهل بيوت جيرانهم وعوائلهم.

الاسباب والوسائل التي يجب اتخاذها لاصلاح

الامر الاول: ان ينتخب لليمن مأمورون من اهل: الديانة، والدراية، والعفة، والامانة، والسياسة، والنصح للدولة والملة، يكونون حكماء يضعون الاشياء في مواضعها، ليس لهم طمع في الاموال الاميرية، وارزاق العساكر، حتى تستريح العساكر في المأكّل والمشرب والملبس، ويخدمون بنصح وليس لهم طمع في اموال الرعية واعراضها؛ حتى تطمئن الرعية اليهم ويزول عنهم الخوف الذي غرسه في قلوبهم المأمورون السابقون.

الامر الثاني: ان يفهموا جميعاً ان الدولة العلية مقصدها راحة الرعية، واقامة الشرع الشريف؛ لتزول الدسيسة التي دسها عليهم المدعي ان الدولة العلية ابطلت الشرع، وان يفهموا ان الدولة العلية لاتريد منهم الا الزكاة الشرعية. فان في ذلك ما يجلب قلوبهم في اقرب وقت. واهون سبب، أن اهل اليمن اكثرهم بادية كالوحوش اذا سمعوا لفظ اقامة الشرع انجلبت قلوبهم في الحال.

الامر الثالث: ينبغي بعد تفهيم قبائل الشوافع ذلك، ان يسعى في اخذ الزكاة منهم بصورة حسنة من دون قتال وهو ممكن لانهم سريعين للانقياد [سريعو الانقياد] كما فهمنا ذلك من كثير من مشائخهم [مشايخهم] ولجل تفهم ذلك واصلاح القبائل المذكورة، تجلب مشائخهم [مشايخهم] ويفهمون مذكروا ان مقصد الدولة العلية: اجراً [إجراء] الشرع وجلب راحة العموم وصون الدماء عن السفك، والاعراض عن الهتك، والاموال عن النهب والسلب. وتتؤخذ منهم العهود والمواثيق على السمع والطاعة والانقياد للدولة العلية فان الشوافع اذا صلحوا لم يبق على الدولة العلية الا طائفة الزيود، وحينئذ يسهل امرهم ويكونون معينين لنا عليهم ونأمن مساعدتهم لنا ولو بايصال اخبارنا إليهم. ومتى صلحت قبائل الشوافع ونصحوا في الخدمة، منعوا دخول الاسلحة والجبخانة وغيرها من الاموال الاوروبية للزيود؛ لان جميع مايدخل الى بلاد الزيود من الاسلحة وغيرها لابد ان يمر من ديارهم.

الامر الرابع: هو ان يكلف ويعهد الى كل شيخ قبيلة وقبيلته بحدود ارضهم ويؤخذ عليهم وثيقة بان جميع ما ينهب من الاموال او يسفك من الدماء يكون مطلوباً منه ومن قبيلته. فانه بهذا الامر تأمن الطرق والعباد والبلاد احسن من تأمينها بعشرين طابورا من العساكر الشاهانية.

الامر الخامس: وهو الذي يكون سبباً في اصلاح القبائل

هو ان تجلب مشائخهم [مشايخهم] بالامان واذا وصلوا يجعلون في اماكن وتجري عليهم

الضيافة، ويكسى كل واحد منهم من الجوخ الاحمر، وشالا على رأسه ويُعلّمون ان ما ارتكبه بعض المأمورين مخالف لرضاء امير المؤمنين ووزرائه الفخام، وأن المطلوب منهم الزكاة. الشرعية وان كل شخص مكلف بان يأتي بزكاته الى المأمور الذي تجعله الدولة العلية لجباية الزكاة وانه لا يسلمها حتى يأخذ منه سند [سنداً] بالاستلام، ويعلن ذلك في القبائل، وينبه على المشايخ [المشايخ] ان لا يتعدى منهم احد على الرعية، ويعلن عند الرعية ان المشايخ اذا ظلموهم يرفعون شكايتهم الى الحكام وهم ينصفونهم منهم، ويردونهم عن ظلمهم بالسياسة الحسنة. هذا في عربان تهامة، واما عربان الجبال فيلزم جلب مشائخهم [مشايخهم] بالامان ايضا، ويفعل معهم كما فعل مع مشايخ تهامة من الاكرام، وتؤخذ منهم المواثيق اللازمة على السمع والطاعة. ثم يُعهد [يكتب تعهداً] كل شيخ بجباية زكاة قبيلته بنفسه، والاتيان بها الى جابي الزكاة يُفعل معهم هذا في أول الأمر، واذا تمت اصلاحات اليمن يعاملون معاملة عربان تهامة ايضاً.

الامر السادس: هو ان يجعل لكل شيخ من المشايخ شيء في مقابلة خدمة، وينبه عليه ان لا يتعدى على اخذ اموال احد من الرعية، وينبغي ان يعمل من الجوخ الاحمر وقدر ثلاثمائة جبه ويجعل في صدورهم شمسات من السيم النحاس، وثلاثمائة شال احمر، ويصحبها الوالي معه لكسوة مشايخ [مشايخ] العربان، فإن هذه الكسوة تنجلب بها قلوب المشايخ [المشايخ] ويفتخرون بها اكثر من النقود.

الامر السابع: ان رئيس الزيد اعلن عند عامة اهل اليمن أنه قام لأمر ديني، ولإقامة الشريعة ومنع المنكرات واقامة الصلوات. ومن جملة ما ادخله في قلوبهم ان المأمورين والضباط والعساكر لا يصلون، ولا يؤذنون، ويشربون الخمرة، ويرتكبون المنكرات، فينبغي ان يقابل بامر ديني؛ حتى يظهر كذبه. وهو التنبيه على المأمورين باقامة الشريعة وعدم شرب الخمر، والتنبيه على الضباط بأن يجروا الاذان الشرعي في كل طابو [طابور]، ويصلون مع النفرات (١٣٣) بالجماعة في كل وقت، الا من كان في نوبة او حرب او غير ذلك من الاشغال فان ذلك مما يجلب قلوب عامة اهل اليمن ويظهر به كذب المدعي.

الامر الثامن: ينبغي ان من لم يمثل للنصيحة من العربان، ويأبى الا الفساد والبغي على ولاية الامور يؤدب في الحال؛ لانه اذا دبّت [أدبت] قبيلة من العربان اذعن الباقون بالطاعة؛ لان النصيحة وحدها قد لاتجدي نفعا مع بعض الناس وان الدين والملك لايقوى الا اذا كان معه سيف، بهذا جرى نظام العالم.

ما يتعلق باحوال ماساكر اليمى

انا قد وجدنا في الطريق كثيراً من العساكر النظامية هاربين فسالناهم عن سبب ذلك فبعضهم افاد: ان سبب هربه الجوع وبعضهم افاد أن مدته انقضت وطلب تذكرته وتخلية سبيله فلم يتركوه ولم يعطوه التذكرة فينبغي لحفظ حقوق العساكر [خمسـة] أمور:

الامرا الاول: انه ينبى على ضباط العساكر ان يلاحظوا مأكولات العساكر ومشروباتهم وملبوساتهم ولا يقصروا عليهم في شيء، فان الجوع قد يضطر الانسان الى ما لا يليق وقد سمعت ان كثيراً من العساكر وقت الفتنة سلموا أنفسهم وسلاحهم ليحيى حميد الدين لسبب الجوع.

الامر الثاني: ينبى على الضباط ان لا يحملوا الانفار مالا يطيقون فإننا قد سمعنا ان بعض الضباط يكلفون الانفار ان يطحنوا اقواتهم وغير ذلك مما ليس مطلوباً من النفقات.

الامر الثالث: ينبى ان ينبى على ولاة الامر في اليمن، ان يعطوا من مضت مدت [مدة] خدمتهم من العساكر تذاكرهم ويخلوا سبيلهم فإننا [رأينا] كثيراً من نفقات العساكر يفرون بسبب انقضاء مدتهم وعدم اعطائهم تذاكرهم وبعضهم ذهب الى المدعى وصار عنده، فليتزم ملاحظة هذا الأمر واعطائهم تذاكرهم عند انقضاء مدتهم، والاتيان بغيرهم بدلاً عنهم.

الامر الرابع: ينبى ان ينبى على مفتاي [مفتي] الآلايات^(١٢٤) وائمة الطواير، ان يجعلوا في كل يوم وقتاً معيناً للتدريس، يعلمون فيه الضباط والنفقات ماتصح به صلاتهم وصومهم وجميع عباداتهم فان كثيراً من الضباط والنفقات لا يعلمون ذلك. وقد سأل يحيى حميد الدين بعض الضباط على ما بلغنا عما يصح به الوضوء والصلاة، فلم يعرفوا أن يجيبوه، وصار يعيب ذلك عليهم ويقول انظروا الى امراء العساكر لا يعلمون شيئاً فكيف النفقات؟ فينبى ملاحظة هذا الامر ليظهر كذبه.

الامر الخامس: فيما يرجع لاصلاح اليمن: ينبى ان يوظف اناس من علماء اهل اليمن الصادقين الناصحين للدولة، ليعلموا العربان ما يجب عليهم من السمع والطاعة لله ولرسوله ولولاة الامور. وما في ذلك من المصالح، وما في عكسه من المفاصد الدينية والدنيوية من سفك الدماء، وضياع الاموال، وما يترتب عليه من تفريق كلمة المسلمين، وما على من فصل ذلك او اعان عليه من العقاب الشديد الدنيوي والآخري فانه يحصل من ذلك تأثير عظيم جداً اعظم من قتالهم وتطويعهم جبراً.

وليعلم انه اذا ارادت الدولة العلية محاربة المدعي والاستيلاء على اماكنه وبلاد اعوانه فلا بد لذلك من ترتيبات امور مع العربان الشوافع الذين في حدوده، وتوجه العساكر اليه من جهات يسهل بها ضبط بلاده، وانا قد تكلمنا مع بعض مشايخ العربان الشوافع في هذا الخصوص. فوجدناهم كلهم يميلون الى مساعدة الدولة العلية بانفسهم واموالهم لما بينهم وبين الزيود من العداوات القديمة.

وليعلم ان الدولة العلية اذا ارادت مصالحة المدعي، فيجب عليها ان تصالحه بأمر يكون هو تحت ادارتها، ويكون اميراً من جيبتها [جهتها]، ولا اظن يرضى بذلك. اما جعله مستقلاً كما يزعم ويريد، فهذا امر لايجوز قطعاً لما فيه من المفساد التي لا تحصي واني اسأل الله ان يوفق ولاة الامور لما فيه صلاح الاحوال في الاقوال والافعال، في الحال والمال، ولما فيه راحة العباد والبلاد أمين.

مما يتعلق باصلاحات اليمن ومنافع الدولة العلية

هو ان يعمل التلغراف الهوائي وذلك من صنعنا الى عسير، ومن عسير الى الطائف، ومن الطائف الى المدينة المنورة، فانه بذلك تتصل المخابرات من اليمن الى الحجاز، الى الاستانة العلية بدون واسطة تلغراف مصر وغيرها، ويتوفر للدولة العلية مبالغ جسيمة.

ينبغي ان يعمل شمندوفر من اسكلة المخا الى ان يصل صنعاء ليكون فاصلاً بين لحج وعدن، فان فيه مصلحة عظيمة لقطع اطماع العربان الذين تحت حماية انكلترا، عن التوصل الى اتباع الدولة العلية ولقطع الاتصال بين الزيود وبينهم.

وينبغي ايضا ان يرسل احد الى امير حضرموت الكهري ويعطي علماً عثمانياً ينشره، ويعلن انه تحت حكم الدولة العلية، لئلا يتجاوز عليه القصيبي صاحب الشحر والمكة [المكلا] الذي تحت حماية انكلترا، ويتملك بعض مما له فانه قد بلغني من الثقفة [المتقفون] ان افكار القصيبي ان يستولي على حضرموت وعربانها شيئاً فشيئاً، وانه الآن يجري الدسائس في هذا الخصوص.

ينبغي ايضا ان يرتب اما شركة خيرية من اتباع الدولة العلية، فتكون من ست [سته] وابورات تكون في بحر عمان وخليج فارس والبصرة، وفي البحر الاحمر تتعاطى جلب اموال

التجارة وحملها من البصرة الى غاية السويس. واذا وجدت عساكر تريد أن تتوجه الى اليمن تأتي العساكر الى العقبة، وتحملها الوابورات المذكورة من هناك الى اليمن، وكذلك تحمل العساكر من اليمن والحجاز الى العقبة، كيلا تمر العساكر على قتال السويس، وتسلم الدولة العلية من مصارف جسيمة بهذه الوساطة ويكون ايضا نقل ارزاق العساكر الدقيق والارز من البصرة الى اليمن فيها؛ لان الحنطة والارز في العراق ارخص من كل جهة. وعلى كل فنظر الدولة العلية وارباب حكوماتها اعلى. اسأل الله أن يوفقهم لما فيه صلاح الامور انه على ذلك قدير بالاجابة جدير. في ٩ شوال ١٢٦٦ (٣ تشرين ثاني ١٩٠٨).

خادم الملة والدولة والدين وخادم
العلم والمدرس بالحرمين الشريفين
عبدالرحمن بن احمد اليامي المدني
ختم
عبدالرحمن بن احمد اليامي ١٣٢٦

مسئلة لواء عسير نسال الله التوفيق والتيسير

إن من جملة توابع لواء عسير بيشه، وغامد، وزهران، وشهران ومحطات، ووادعه، وهذه القبائل لما ادخله المدعي في قلوبهم ونفرتهم من المأمورين الذين في اليمن، خرج بعضهم عن الطاعة بالكلية وبعضهم امتنع عن اداء الزكاة بالكلية والذي يعطى منهم الزكاة يعطى من الشاة اذننها، وانه مما يوجب انقيادهم للحكومة السنية ان يضم لواء عسير الى ولاية مكة المشرفة. فانه بهذه الوساطة ربما تنجلب قلوب العربان ويطيعون بلا كلفة؛ وحينئذ تسلم الدولة من مصارف شتى، وان ضمها الى ولاية الحجاز هو اولى من جعلها ولاية مستقلة؛ لان اهل اليمن في الغالب يتقانون الى الوالي الذي يكون على مكة المشرفة. فيلزم ان يكون الامر كذلك الآن. وفيما بعد إن ارادت الدولة العلية جعلها ولاية مستقلة، بعد صلاح اهلها فلا بأس وحينئذ يسهل الأمر انشاء الله تعالى.

V. Kamil Pasa وثيقة

الارشيف العثماني، تصنيف يلدز اوراق كامل پاشا وثيقة رقم: 36-33-3259

الهوامش

(١) M. Ali Bahauddin, Yemen'den gelen mektub, Istanbul 1326, P. 18.

(٢) لمزيد من التفاصيل عن الاهتمام البرتغالي المبكر باليمن والبحر الأحمر، انظر: أريك ماكرو، اليمن والغرب (١٥٧١-١٩٦٢)، ترجمة، حسين العمري، صنعاء ١٩٧٨ ص ١٩-٢٣.

Hulusi Tavuz, Yemen 'de Osmanli hakimiyeti (1517-1571), Isanbul 1984.

C. Orhanlu, XVI, Asrin ilk yarisindak Kizildanizdaki Osmanlilar, Tarih Dergisi (TD) , Istanbul 1962 no, 16. R. B. Serjeant, The Portuguesse of the South Arabian Coast, Oxford 1963. T. Oz, Yemen Fatihi Sinan Pasa Arsivi, Belleten, Vol. X/37. Ankara 1946. P. 171-193

(٣) شهدت اليمن في فترة الحكم العثماني الاول بين (١٥٩٨-١٦٣٥) مجموعة من الثورات بقيادة الامام المنصور القاسم بن محمد ضد ولاية اليمن منهم: سنان پاشا، جعفر پاشا، ابراهيم پاشا، محمد پاشا، انظر: حسين بن احمد العرشي، بلوغ المرام في شرح مسك الختام فيمن تولى ملك اليمن من ملك وامام، تحقيق الاب انستاس الكرمللي القاهرة ١٩٣٩ ص ٦٤ وما بعدها.

(٤) لمزيد من التفاصيل عن حكم الائمة الزيدية انظر: محمد ماضي، دولة اليمن الزيدية، نشأتها، تطورها، مجلة الجمعية التاريخية المصرية، القاهرة، عدد ايار ١٩٥٠.

(٥) حسين العمري (محقق)، حوليات النعمي التهامية، دار الفكر، دمشق ١٩٨٧، ص. ١٠٧-١٠٨.

(٦) لمزيد من التفاصيل عن هذه المواجهة، انظر: سليمان ابوعز الدين، ابراهيم پاشا في سوريا، بيروت ١٩٢٩. مجهول، مذكرات تاريخية عن حملة ابراهيم پاشا على سوريا، تحقيق، احمد غسان سبانو (د.ن. دت).

(٧) هو الحسين بن علي بن حيدر من اشراف ابي عريش، كان حليفا لمحمد علي پاشا وقاد قوة مصرية عام ١٨٤٠ وتمكن من الاستيلاء على قبائل يام الثائرة. فعينه محمد علي پاشا حاكما على مدينة ابي عريش عاصمة المخلاف السليماني التي كان يحكمها والده من قبل. ثم اعلن الشريف حسين تبعية الدولة العثمانية واصبح واليها على تهامة وجميع مناطق عسير حتى عزله عام ١٨٤٩. واستقر في مكة حتى وفاته عام ١٨٧٦. لمزيد من التفاصيل انظر، محمد بن احمد العقيلي، تاريخ المخلاف السليماني او الجنوب العربي في التاريخ، الرياض ١٩٥٨، ١/٥٥٢-٥٦٢، أريك ماكرو، اليمن والغرب ص ٧٣-٧٥.

(٨) الارشيف العثماني، اراده داخلية رقم ٤٥٣٤١ . مسائل يمينيه رقم ١٨٠٠ . تولى محمد بن عون اماره مكه مرتين، الاولى بين (١٨١٣-١٨٥١) والثانيه بين (١٨٥٦-١٨٥٨) . انظر: إسماعيل حقي اوزون جارشلي، أمراء مكه المكرمه في العهد العثماني، ترجمه خليل علي مراد . منشورات مركز دراسات الخليج العربي - البصرة ١٩٨٥، صص ١٦٤-١٦٧ .

(٩) الارشيف العثماني، ارادة داخلية رقم ٤٥٣٤٨ . المصدر السابق صص ٧٨، ٧٩، ٨٧، ٨٨ .

(١٠) . M. Ali Bahauddin, op. cit. p. 19 .

(١١) الارشيف العثماني، إرادة داخلية ٤٦٨٣٥ .

(١٢) الارشيف العثماني، شواحي دولت ٤٦٩٨ .

(١٣) الارشيف العثماني، إرادة داخلية ٤٥٤٩٠ . ٤٦٥٥٠ .

(١٤)، (١٥)، (١٦) الارشيف العثماني، باب عالي أوراق اوضه سي ٦٩٧ .

(١٧) الارشيف العثماني، مجلس مخصوص رقم ٥٣٣١ .

(١٨) الارشيف العثماني، إرادة داخلية ٤٦٢١٢٤ .

(١٩) الارشيف العثماني، مجلس مخصوص ٥٣٣٢ .

(٢٠) مجلس مخصوص ١٨٩٢ .

(٢١) الارشيف العثماني، إرادة خصوصية ٤٧٩ .

(٢٢) مجلس مخصوص ١٨١٣ .

(٢٣) الارشيف العثماني، باب عالي أوراق اوضه سي، ٦٩٧، انظر البحث ص ٢٨، ولزيد من التفاصيل عن

مرتبات افراد الجيش انظر: فاروق اباطه، الحكم العثماني في اليمن، نشر الهيئة المصرية العامة

للكتاب، القاهرة ١٩٧٨، صص ١٠٨-١٠٩ .

(٢٤)، (٢٥) الارشيف العثماني، إرادة داخلية ٧٢٥٦٠ .

M.Z. Pakalin, Osmanli Deyimleri Sozlugu (3 volume) Istanbul 1971, II/(٢٦)

102.

بعد صدور قانون الولايات سنة ١٩٨٤، تشكلت ولاية اليمن من أربعة الوية هي: صنعاء عسير، تعز

والحديدة، انظر: سالنامات اليمن، ١٣١٣، ١٣١٨ .

- (٤٤) الارشيف العثماني، إرادة داخلية رقم ٩٧٥٦٠.
- (٤٥) الارشيف العثماني، إرادة داخلية رقم ٩٧٢٢٣.
- (٤٦) الارشيف العثماني إرادة داخلية رقم ٤٥٦٧٤.
- (٤٧) الارشيف العثماني، إرادة داخلية رقم ٩٩٧٤٠.
- (٤٩) الارشيف العثماني، إرادة مجلس مخصوص ٤٧٥٣.
- (٥٠) الارشيف العثماني، إرادة داخلية ٩٩٧٤٠. لمزيد من التفاصيل عن هذه الضرائب انظر: فاروق اباضة، الحكم العثماني، ص ١١٠-١١٢.
- (٥١) A. Caur, "Sehy" Islam Ansiklopedisi (IA), Istanbul 1979, 11/461-462. (٥٢) الارشيف العثماني، إرادة خارجية رقم: ٥٥٥.
- (٥٣) ص ٧٩-٨٠. عبد الواسع بن يحيى الواسعي، تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن ط٣، الدار اليمنية للنشر والتوزيع ١٩٨٢. ص ٢٦٩ وما بعدها.
- (٥٤) الارشيف العثماني، إرادة خارجية رقم ٥٥٥ (٨ ابريل ١٩١١). هو الامام يحيى بن الامام المنصور بالله محمد بن يحيى عميد الدين الذي خلف والده الامام المنصور سنة ١٩٠٤. عقد صلحا مع الدولة العثمانية عام ١٩١١، واغتيل في ١٨ شباط ١٩٤٨.
- (٥٥) الارشيف العثماني، يلدز قسم ٣٤/٢٢، كرتون ٦٥.
- (٥٦)، (٥٧)، (٥٨)، (٥٩) محمد ماضي، دولة اليمن الزيدية ص ٢٤ وما بعدها.
- (٦٠) الارشيف العثماني، إرادة داخلية رقم ٩٩٦٨٤.
- (٦١) الارشيف العثماني، إرادة داخلية رقم ٩٨٦٨٣.
- (٦٢) الارشيف العثماني، باب عالي اوراق اوضه سي رقم: ٦٩٧.
- (٦٣) الارشيف العثماني، إرادة خارجية رقم: ٢٢٩٥.
- (٦٤) الارشيف العثماني، باب عالي اوراق ارضه سي رقم ٦٩٧.
- (٦٥) الارشيف العثماني، إرادة داخلية رقم: ٩٢١٥٢. هو الامام محسن بن احمد الشهاري الملقب بالمتوكل

أحوال اليمن واصلاحه في ضوء تقرير الدولة العثمانية لعام ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م

على الله تولى الامامه بين (١٢٧١-١٢٩٥/١٨٥٥-١٨٧٨) . انظر: العرشي، المصدر السابق ص. ٧٢-٧٣، ٧٩-٨٠.

- (٦٦)، (٦٧)، (٦٨) الارشيف العثماني، إرادة داخلية رقم ٢٩٦.
- (٦٩) الارشيف العثماني، باب عالي اوراق اوضه سي رقم: ٦٩٧.
- (٧٠) الارشيف العثماني، إرادة داخلية رقم: ٢٩٦١.
- (٧١) الارشيف العثماني، إرادة داخلية ٢٩٦.
- (٧٢)، (٧٣)، (٧٤)، (٧٥)، (٧٦)، (٧٧)، الارشيف العثماني، باب عالي اوراق اوضه سي رقم: ٦٩٧.
- (٧٨)، (٧٩) الارشيف العثماني، إرادة داخلية رقم: ٩٩٦٨٤.
- (٨٠) الارشيف العثماني، عالي اوراق اوضه سي رقم ٦٩٧.
- (٨١) الارشيف العثماني، إرادة داخلية رقم: ٢٩٦١.
- (٨٢) الارشيف العثماني، مجلس مخصوص ٤٥٤٣.
- (٨٣) الارشيف العثماني، ارادة داخلية رقم: ٩٩٦٨٤.
- (٨٤) الارشيف العثماني، إرادة داخلية ٩٩٦٨٤.
- (٨٥) الارشيف العثماني، إرادة داخلية رقم: ٢٩٦١.
- (٨٦) الارشيف العثماني، باب عالي اوراق اوضه سي ٦٩٧.
- (٨٧) الارشيف العثماني، باب عالي اوراق اوضه سي ٦٩٧.
- (٨٨) الارشيف العثماني، ارادة داخلية رقم ٩٩٦٨.
- (٨٩) الارشيف العثماني، مسائل يمنية رقم ١٨١٦.
- (٩٠) الارشيف العثماني، مسائل يمنية رقم ١٨١٦.
- (٩١) الارشيف العثماني، مجلس مخصوص رقم ٤٥٤٣. باب عالي اوراق اوضه سي رقم ٦٩٧.
- (٩٢)، (٩٣) الارشيف العثماني، ارادة داخلية رقم ٧٢٥٦٠.

- (٩٤) الارشيف العثماني، باب عالي اوراق اوضه سى رقم: ٦٩٧، شوراي دولت رقم ١٣٩٩.
- (٩٥) الارشيف العثماني، ارادة داخلية رقم : رجب ١٣١٨
- (٩٦) الارشيف العثماني، ارادة داخلية رقم ٢٩٦١.
- (٩٧) الارشيف العثماني، ارادة داخلية رقم ٧٥٨٠٦، ٨٨٨٩٢.
- (٩٨) الارشيف العثماني، ارادة داخلية رقم ٢٩٦١.
- (٩٩) الارشيف العثماني، ارادة داخلية رقم ١ ذي الحجة ١٣١٥
- (١٠٠) الارشيف العثماني، شوراي دولت رقم ٦٢١١٥٢
- (١٠١) الارشيف العثماني، ارادة داخلية رقم ٦٢١٥٢.
- (١٠٢) الارشيف العثماني، ارادة داخلية رقم ٩٩٤٣٠.
- (١٠٣) الارشيف العثماني، ارادة داخلية رقم ١٦٨٠.
- (١٠٤) الارشيف العثماني، ارادة داخلية رقم ٢٩٦١.
- (١٠٥) الارشيف العثماني، باب عالي اوراق اوضه سى ٧٩٦
- (١٠٦) اللانحة: تقرير من عدة صفحات حول قضية معينة.
- (١٠٧) الصدر الاعظم، يقابله الوزير الأول أو رئيس الوزراء اليوم.
- (١٠٨) شيخ الاسلام: المفتي الاكبر في الامبراطورية وهو مسؤول السلطة القضائية فيها
- (١٠٩) حديث شريف.
- (١١٠) السياحة في اللغة العثمانية، تعني رحلة لاداء وظيفة رسمية يكلف بها صاحبها من قبل الدولة.
- (١١١) مدعي الأمامة: لقب اطلق على أمام اليمن يحيى بن محمد بن يحيى حميد الدين، انظر ص ١٢٠ هامش ٣.
- (١١٢) المقصود بأسيا، بيت المقدس وما فيها من المقدسات الاسلامية والمسيحية.
- (١١٣) علماء الاسلام: علماء المذاهب الاربعة: الحنفية، الشافعية، المالكية والحنبلية في مكة المكرمة.

(١١٤) حديث شريف.

(١١٥) أسكله: تعني ميناء.

(١١٦) المقصود به القعيطي، انظر العرشي، المصدر السابق ص ١١٨-١١٩. الواسعي، المصدر السابق ص ٥٤-٥٥. حمزه علي لقمان، تاريخ القبائل اليمنية، صنعاء، ١٩٨٥، ص ٣٦٥.

(١١٧) لمزيد من المعلومات عن النزاع بين مبارك الصباح وآل رشيد، انظر: حمد الحقييل، عبد العزيز في التاريخ، مطبعة دار المعارف، بيروت ١٣٨٨هـ.

(١١٨) لمزيد من المعلومات عن علاقة إنجلترا بالخليج العربي وساحل عمان ومعاهدات الحماية انظر:-
عبد العزيز عبدالغني ابراهيم، علاقة ساحل عمان ببريطانيا، الرياض ١٩٨٢. نفس المؤلف، سياسة الأمن لحكومة الهند في الخليج العربي ١٨٥٨-١٩١٤، الرياض ١٩٨٢. اريك ماكرو، اليمن والغرب.

(١١٩) الجبخانه: دار صناعة الأسلحة والبارود.

(٢٢٠) التقى حسن خالد بسمو الامير عبد الله في لندن خلال شهر تشرين الأول ١٩٢٢، وبتاريخ ١٩٢٣/١/١ عين مستشارا خاصا لسموه. كما اصبح اول رئيس لمجلس النظار (الحكومة) بتاريخ ٥ ايلول ١٩٢٣م. انظر: منيب الماضي، سليمان الموسى، تاريخ الاردن في القرن العشرين ط٢. عمان ١٩٨٨ ص ٢١٤ وهامشها.

(١٢١) هو ابو الهدى الصيادي الحلبي كان من اوثق المستشارين لدى السلطان عبد الحميد لمدة ثلاثين سنة (١٨٧٧-١٩٠٨) اتهمه اعدائه بالنفاق والتجسس، بينما اثبتت الوثائق انه كان ناصحا للسلطان بما فيه نفع الدولة ورعاياها. انظر: سامي الكيالي، ترجمة الشيخ ابو الهدى الصيادي، مجلة العربي عدد ١٥٢، الكويت، ١٩٧١، محمد كرد علي، المذكرات (٤ اجزاء) دمشق ١٩٤٨. ٢٤٦/١.

(١٢٢) هو حسن بن علي ال عائض، لمزيد من التفاصيل انظر: محمد بن مسلط البشري، تاريخ عسير: رؤية تاريخية خلال خمسة قرون، طه، ١٤١٣هـ.

(١٢٣) النفرات: المقصود بها العساكر

(١٢٤) الاالايات: المقصود بها كتاب العسكر.